# سِلسِلَةُ المَقَالات العَرمَوِيَّةِ

ـ ١ ـ

❁

## التحذير من الكبر والتكبر

❁

أَبُو الحَسَن حُسَين عِلْمِي بَرْخَط العَرْمَوِيُّ الصُّومَالِيُّ

الحمد لله الواحد القهَّار، العزيز الغفَّار، مقدِّر الأقدار، مصرِّف الأمور مُكوِّر الليل على النهار، تبصرةَ لأُولي القلوب والأبصار

أشْهَدُ أنْ لا إِلهَ إلاَّ اللَّه العظيم، الواحد الصمد العزيز الحكيم، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، وصفيُّه وحبيبه وخليله، أفضلُ المخلوقين، وأكرمُ السابقين واللاحقين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيّينَ والمرسلين، وآل كلٍّ وسائر الصالحين[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، نعوذ بالله من الفتن والنار.

إخوتي في الله، إنَّ من الأخلاق الرديئة، والطبائع الرذيلة، والذنوب العظيمة، والأدواء الدفينة داءَ الكبر، ذلك الداء الذي يجعل المرء يعيش الوهم بكل معانيه، يحسب بسببه المرء نفسه في أعين الناس عظيمًا وهو عندهم حقير ذليل لتكبُّره.

وسنقدم – بإذن الله – في هذه الأوراق اللطيفة بعض ما يذمُّ الكبر والتكبر من النصوص وأقوال أهل العلم، فنقول مستعينًا بالله:

---

[1] . انظر الأذكار للنووي (ص: ٤١).

## ❖ تعريف الكبر والتكبر:

مِن باب يُعرف الشيءُ بضدِّه: ضِدُّ الْكِبْرِ وَالتَّكَبُّرِ وَالِاسْتِكْبَارِ والِاسْتِعْظَامِ: الضِّعَةُ وَالتَّمَلُّقُ وَالتَّذَلُّلُ وَالتَّوَاضُعُ[١].

«الكبر: هو استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له»[٢].

وقد يقال: الكبر هو ما في داخل الإنسان مِن ظنِّه أنه فوق الغير، والتكبر: ما يظهر منه من الأفعال.

وقال الإمام الغزالي: «اعلم أن الكبر خلق باطن، وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي أن تسمى تكبرًا، ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير، وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر»[٣].

والكبر والتكبر والتعاظم أثر من آثار العجب:

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوْزِيّ: «اعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْكِبْرِ الْعُجْبَ، فَإِنَّ مَنْ أُعْجِبَ بِشَيْءٍ تَكَبَّرَ بِهِ»[٤].

وقال المحاسبي: «إن أول بدوِّ الكبر العجب، فمن العجب يكون أكثر الكبر، ولا يكاد المعجب أن ينجو من الكبر»[٥].

والعُجب داء خطير يفسد الأعمال الصالحة:

---

١ . انظر كتاب بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية لمحمد الخادمي (٢ | ١٨٥) بتسرف يسير.
٢ . انظر: تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص: ٣٢).
٣ . إحياء علوم الدين (٣ | ٣٥٣).
٤ . غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٢/ ١٧٤).
٥ . الرعاية في حقوق الله (ص: ٣٧١).

قال ابن القيم: «لا شيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس»[١].

❖ أنواع الكبر:

- فقد يكون الكبر على الله ملِك الملوك، ذي العظمة والجبروت.

وهذا النوع هو أشد وأخبث أنواع الكبر، وأعظمه عقوبةً، كيف لا؟ وصاحب هذا محارب لله تعالى، ومَن حارب الجبَّار قصم ظهره!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي فَمَنْ نَازَعَنِي رِدَائِي قَصَمْتُهُ»[٢].

- وقد يكبر المتكبر الملعون على أفضل البشر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كما فعل كفار مكة.

قال الله تعالى:( وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [الزخرف:٣١-٣٢].

والرسول صلى الله عليه وسلم سيِّد ولد آدم كما أخبر، فمن نازعه في ذلك فقد تكبر عليه وعارض حكمة الله تعالى؛ لأن الله يعلم حيثُ يجعل رسالته.

- وقد يكون الكبر على الخلق، وهو احتقارهم، واستعظام النفس عليهم، وهذا النوع - وإن كان دون الأوَّلَين مرتبة - إلا أنَّ إثمه عظيم، وعقابه أليم.

وصور هذا النوع كثيرة، منها: التكبر بالمال، والجاه، والجمال، والقوة، وكثرة الأتباع والأنصار.

---

١ . الفوائد (ص: ١٥٢).

٢ . أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، وأحمد (٧٣٨٢) والحاكم (٢٠٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٠٩).

❖ أسباب الكبر:

يقول الإمام الغزالي: «وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة: سبب في المتكبر، وسبب في المتكبر عليه، وسبب فيما يتعلق بغيرهما. أما السبب الذي في المتكبر فهو العجب، والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد، والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة: العجب والحقد والحسد والرياء»[١].

❖ درجات الكبر:

– قد يكون الكبر مستقرًّا في قلب الإنسان، فهو يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أنه يجتهد في نفسه، ويتواضع مع الآخرين في أقواله وأفعاله، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

وقد جهل هذا المسكين أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[٢].

– وقد يظهر الكبر من أفعاله فيترفَّع في المجالس على الأقران، ويغضب على من يُقَصِّرُ في حقِّه.

وقد جهل هذا المسكين ما أدَّب الله به نبيَّه – ﷺ – حين قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

– وقد يظهر الكبر بلسانه فيدَّعي التعالي على الناس ويفخر ويزكي نفسه، وكذلك التكبر بالنسب والفخر بالحسب

وقد جهل هذا المسكين أن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

---

١ . إحياء علوم الدين (٣|٣٥٣).

٢ . صحيح مسلم (٩١).

وأن الفخر بالأنساب جاهلية، فَعَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»[1].

❖ خطر الكبر:

١. أنه سبب في الإعراض عن آيات الله والصَّدِّ عنها.

– قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧–٨].

– وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

– وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٧].

٢. أنه سبب من أسباب دخول النَّار والخلود فيها.

– قال الله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

– وقال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٧٢].

[1] . صحيح البخاري (٣٠).

– وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف:٣٦].

– وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٠].

– وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

– وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»[١].

(العُتُلُّ): الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الفَظُّ الغليظ الذي لا ينقاد ويتجبَّر. و(الجوَّاظ): هو الذي يجمع ويمنع. والمراد بالحديث أن أغلب أهل النار هؤلاء.

– وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا»[٢].

– وعَنْ ثَوْبَانَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: الْكِبْرِ، وَالْغُلُولِ، وَالدَّيْنِ– دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٣].

---

[١] . صحيح البخاري (٤٩١٨).

[٢] . صحيح مسلم (٢٨٤٦) وصحيح البخاري (٤٨٥٠).

[٣] . رواه الترمذي في سننه (برقم: ١٥٧٢) والحاكم في المستدرك (برقم: ٢٢١٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (برقم: ٢٤١٢).

٣. أنه سبب لختم القلوب على الضلال.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر:٣٥].

٤. أنه سبب رئيس في هلاك الأمم السابقة.

- فهؤلاء قوم نوح قد قال الله تعالى على لسان نبيّهم نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

- وهؤلاء قوم عاد قد قال الله عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥-١٦].

- وها هي ثمود قد قال عنهم: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦].

- وها هم قوم شعيب قد قال الله عنهم: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

- وأما فرعون فقد ملأ الدنيا كبرًا وخيلاءً، حتى وصل به الحال أن ادّعى الربوبية والألوهية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ

بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٣٨-٤٠].

وقال - ﷻ-: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ * فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾ [المؤمنون٤٥-٤٧].

وقال: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٣٩-٤٠].

٥. أنه جالب لغضب الرحمن، ولعذابه الشديد، ومانع من محبَّته سبحانه.

- قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[1].

- وَعَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ[2].

٦. أن صاحب الكبر يُحشر يوم القيامة على صورة أذلَّ وأحقر وأصغر مِن أصغر الحشرات جزاء لعمله ثم يُساق إلى النار والعياذ بالله.

---

[1] . صحيح مسلم (١٠٧).

[2] . صحيح مسلم (٢٠٢١).

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦٠ – ٦١].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ»[1].

«(نار الأنيار) أَيْ: نَارُ النِّيرَانِ، وَإِضَافَةُ النَّارِ إِلَيْهَا لِلْمُبَالَغَةِ، لِأَنَّهَا أَصْلُ نِيرَانِ الْعَالَمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى}، وَلِقَوْلِهِ – صلى الله عليه وسلم –: (نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ)»[2].

٧. أنه قد يسبب للمرء عقابًا في الدنيا قبل الآخرة.

قال الله تعالى عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

– وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[3].

---

[1] . أخرجه الترمذي في سننه (برقم: ٢٤٩٢) وأحمد في مسنده (برقم: ٦٦٧٧) وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند وصححه أحمد شاكر في تخريجه للمسند.

[2] . تحفة الأحوذي (٦/٢٨٤).

[3] . صحيح مسلم (٢٠٨٨).

قَالَ ابْنِ الْأَثِير: «(الجُمَّةُ) من شَعْرِ الرَّأْسِ: مَا سَقَطَ على الْمَنْكِبَيْن»[١].

«(يَتَجَلْجَلُ) أَيْ: يَغُوص فِي الْأَرْضِ حِينَ يُخْسَفُ بِهِ. والجَلْجَلَةُ: حَرَكة معَ صَوْت»[٢].

أقوال أهل العلم في الكبر:

- عَنْ جَمِيلِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: رَأَى ابْنُ عُمَرَ رَجُلًا يَجُرُّ إِزَارَهُ فَقَالَ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ إِخْوَانًا» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا[٣].

- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ مِنْ وَلَدِ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: «مَا دَخَلَ قَلْبَ امْرِئٍ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ قَطُّ إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ بِقَدْرِ مَا دَخَلَ مِنْ ذَلِكَ قَلَّ أَوْ كَثُرَ»[٤].

- «وَرُوِيَ أَنَّ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَأَى المهلب ابن أَبِي صُفْرَةَ يَتَبَخْتَرُ فِي مُطْرَفِ خَزٍّ وَجُبَّةِ خَزٍّ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا هذه المشية التي يبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال نعم، أَوَّلك نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ الْعَذِرَةَ. فَمَضَى الْمُهَلَّبُ وَتَرَكَ مِشْيَتَهُ.

نَظَمَ الْكَلَامَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ فَقَالَ:

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ ... وَكَانَ فِي الْأَصْلِ نُطْفَةً مَذِرَهْ

وَهُوَ غَدًا بَعْدَ حُسْنِ صُورَتِهِ ... يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِيفَةً قَذِرَهْ

وَهُوَ عَلَى تِيهِهِ وَنَخْوَتِهِ ... مَا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ يَحْمِلُ الْعَذِرَهْ

وَقَالَ آخَرُ:

---

[١] . تاج العروس للزبيدي (٣١ | ٤٢٠).

[٢] . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١ | ٢٨٤).

[٣] . أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التواضع (برقم: ٢٤٦).

[٤] . التواضع لابن أبي الدنيا (رقم: ٢٢٦).

هَلْ فِي ابْنِ آدَمَ غَيْرَ الرَّأْسِ مَكْرُمَةٌ ... وَهُوَ بِخَمْسٍ مِنَ الْأَوْسَاخِ مَضْرُوبُ

أَنْفٌ يَسِيلُ وَأُذْنٌ رِيحُهَا سَهِكٌ ... - وَالْعَيْنُ مُرْمَصَةٌ وَالثَّغْرُ مَلْهُوبُ

يَا ابْنَ التُّرَابِ وَمَأْكُولَ التُّرَابِ غَدًا ... قَصِّرْ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبُ»[١].

- وَقَالَ الْأَحْنَفُ: «عَجَبًا لِابْنِ آدَمَ يَتَكَبَّرُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ مَجْرَى الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ»[٢].

- وَقَالَ الْحَسَنُ: «الْعَجَبُ لِابْنِ آدَمَ يَغْسِلُ الْخَرَاءَ بِيَدِهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُعَارِضُ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»[٣].

- وَسُئِلَ سُلَيْمَانُ عَنْ السَّيِّئَةِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ مَعَهَا حَسَنَةٌ؟ فَقَالَ: الْكِبْرُ[٤].

- وقال ابن القيم -رحمه الله-: «أَرْكَان الْكفْر أَرْبَعَة: الْكبر والحسد وَالْغَضَب والشهوة، فالكبر يمنعهُ الانقياد، والحسد يمنعهُ قبُول النَّصِيحَة وبذلها، وَالْغَضَب يمنعهُ الْعدْل، والشهوة تمنعهُ التفرُّغ لِلْعِبَادَةِ»[٥].

### ❖ آثار الكبر:

١. عدم قبول الحق.

- قال الله تعالى عن إبليس اللعين: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٤].

---

١. انظر: تفسير القرطبي (١٨/٢٩٥).
٢. الزواجر عن اقتراب الكبائر لابن حجر الهيتمي (١/١١٧).
٣. نفس المصدر والصفحة.
٤. نفس المصدر والصفحة.
٥. الفوائد لابن القيم (ص: ١٥٧).

وقال: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١٢-١٣].

وقال: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٢-٢٣].

- وقال تعالى عن فرعون وملئه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

- وفي حديث ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[١].

قال النووي: «وَغَمْطُ النَّاسِ هُوَ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَإِسْكَانِ الْمِيمِ وَبِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ... وَذَكَرَهُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ غَمْصُ بِالصَّادِ، وَهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَمَعْنَاهُ: احْتِقَارُهُمْ... أما بَطْرُ الْحَقِّ: فَهُوَ دَفْعُهُ وَإِنْكَارُهُ تَرَفُّعًا وَتَجَبُّرًا»[٢].

٢. يُزيل الكبرُ من صاحبه التواضعَ الذي هو خلق المسلم المحمود؛ لأنه نقيضه والنقيضان لا يجتمعان.

وكانت الآيات الكريمة ترشد النبيَّ ﷺ ومَن تبعه عن صفات المتكبرين والتحلي بالتواضع:

- قال ﷻ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧].

- وقال تعالى إخبارًا عن وصية لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨].

---

١. صحيح مسلم (٩١).

٢. شرح صحيح مسلم للنووي (٢ | ٩٠).

– وقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

– حتى كان النبي – صلى الله عليه وسلم يكره أن يَقوم له أصحابُه تحليًا بالتواضع واجتنابًا عن الكبر، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قَالَ: «مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ رُؤْيَةً مِنَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا إِلَيْهِ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ»[1].

٣. من آثار الكبر: خلو قلب المتكبر من التقوى والخشية.

قال ﷻ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

٤. ومن آثار الكبر: الحرمان من النظر والاعتبار.

المتكبِّر يرى أنه عالٍ على الناس، وما يشعر أن الناس لا يقبلون ادعاءه ذلك وأنه لا حياة لمن ينادي!؛ لِأَنَّه فَقَدَ بتكبُّره النظرَ والاعتبار، ومن حُرم النظر والاعتبار كانت عاقبته البوار والخسران المبين؛ لأنه سيبقى مقيمًا على عيوبه وأخطائه، ويخوض مع الخائضين حتى يأتيَه اليقين.

٥. القلق والاضطراب النفسي والشعور بالوحشة.

ذلك أن المتكبر يحبُّ أن يُخفض الناس رؤوسهم له، وأعزة الناس وكِرامهم يأبون ذلك؛ لأنَّ القلوب جُبلت على حبِّ من ألان لها الجانب، وخفض لها الجناح، وتواضع معها ولم يتكبر، وهذا المسكين محروم من ذلك كلِّه فيُصاب بخيبة أمل تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي.

٦– الملازمة للعيوب والنقائص.

---

[1] . رواه الترمذي (برقم: ٢٧٥٤) وأحمد (برقم: ١٢٣٤٥) وصححه الألباني في الصحيحة (برقم: ٣٥٨).

وذلك أن المتكبر يظن أنَّه بلغ الكمال في كلِّ شيء، ولا يحاسب نفسه فيصلح ما أفسده، ولا يقبل كذلك نصحًا أو توجيهًا أو إرشادًا من الآخرين، ومن كان حاله هكذا يبقى غارقًا في عيوبه ونقائصه، ملازمًا لها إلى أن يأتيه الموت فيُوقظه!.

٧- الحرمان من العون والتأييد الإلهي.

ذلك أنَّ الحقَّ سبحانه يُوفِّقُ مَن خضع له وخشع وحقَّق العبودية، والمستكبر غافل عن هذا كلِّه

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

بل يطبع الله قلب المتكبر على الضلال ويحرِّمُ عليه الهداية إلى الحق والصواب، قال تغالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥].

نسأل الله العلي العظيم أن يعيذنا مِن هذا الخلق الرَّديء، وصلى الله على نبيِّنَا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

والحمد لله أوَّلًا وآخرًا

والصلاة والسلام على رسول الله محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

***

كتبه أبو الحسن حُسين علمي برخط العَرمَويُّ

١٥- ربيع الأول - ١٤٤٢هـ الموافق ٣٠ - ١١- ٢٠٢٠م.